وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام والغرب وضرورات الحوار العقلاني المتوازن

عبد الله علي العليان الحياة - 17/05/08//

استوقفني منذ فترة في مطبوعة عربية مقالة للكاتب والجامعي المغربي كمال عبد اللطيف، حملت عنوان «الإسلام والغرب: صعوبات الحوار». وتوقعت أن أجد فيها طرحاً معقولاً وعادلاً لهذه القضية الشائكة الملتبسة من نواحي شتى، لكن ظنوني خابت عندما وجدت أن ما طرحه الكاتب يتقاطع مع المشكلة نفسها في كيفية تحليل خلفيات العداء وخطابات الجفاء بين الإسلام والغرب حيث عقد مقارنة غير عادلة بين كتابات بعض المسلمين المعادية للغرب وبين دعوات الصراع والمناطحة التي يطرحها بعض المفكرين والباحثين الغربيين وهي مقارنة غير دقيقة للعلاقة التاريخية مع الغرب بمشكلاتها وظروفها.

فقد عقد الكاتب مقارنة غريبة بين آراء العلامة أبو الأعلى المودودي في كتابه «نحن والحضارة الغربية» وسيد قطب في كتابيه «المستقبل لهذا الدين» و «معالم في الطريق» وبين كتاب صموئيل هنتنغون «صدام الحضارات» وخلص في طرحه الى القول: «نحن نقوم هنا بمواجهة نص بنص، خطاب بخطاب، خطاب المودودي بخطاب هنتنغون وهما خطابان يتبادلان الحقد ويغذيان الجفاء المتبادل».

والمتابع الحصيف يدرك أن المقارنة هنا خاطئة زمانياً وفكرياً فالظروف التي كتب فيه المودودي هذا الكتاب لا تسمح بعقد مقارنة بينه وبين كتاب «صدام الحضارات» لصموئيل هنتنغتون سواء في المنهج أو المحتوى. فالمودودي كتب مباحث كتابه والهند ما زالت مستعمرة بريطانية (وقبل انفصال باكستان عنها) وبعض فصول هذا الكتاب هي عبارة عن محاضرات ألقيت في عام 1936. وهي الفترة التي كان يحاول فيها الهنود (المسلمون والهندوس والملل الأخرى) التخلص من الاستعمار الفكري والعسكري، ما يعني أن رفض المشروع الحضاري الغربي رهان شديد الوطأة على نفوس أصحابه ويتطلب ذلك أن تهاجم الفكرة المخالفة وإبراز مثالبها وعيوبها وربما المبالغة أحياناً في سلبيات هذه العيوب، وهذه سمة منهجية معروفة في زمن الأزمات.

وعندما يقول المودودي أن الحضارة الغربية على أبواب الانتحار، وأنها حضارية مغالية في طابعها المادي، فإن المودودي لم يخترع هذه المقولة، ولا هذه الإشارة المادية الخالصة للتقدم الأوروبي في بعض الجوانب، فهذه النظرة سبق أن قال بها مفكرون غربيون من أمثال شبنجلر وتوينبي والكسيس كاريل وغيرهم من الذين تحدثوا عما سمّوه انهيار الحضارة الغربية وإنها في طريقها الى الأفول بل أن الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، دعا الحضارة الغربية منذ سنوات قلائل إلى استمداد العون من الحضارة الإسلامية الروحية في محاضرته في «ويلتون بارك» بلندن بسبب الطابع المادي لحضارة الغرب. والذي قاله المودودي في هذه القضية ليس بدعة بل هو ترديد لما قاله بعض مفكري الغرب وساسته.

مع ذلك فإن المودودي كما يقول محمد عمارة: «لم يكن صاحب موقف «متعصب» من الحضارة الغربية بكل جوانب إبداعها، ولم يكن ذا عقل منغلق من دون الاستفادة من إنجازاتها العلمية والعالمية» بل إنه دعا إلى التفاعل مع ميراث الأمم الأخرى بقوله: «فأي أمة في الأرض إذا وجدنا في تاريخها أو نظمها الاجتماعية أو أخلاقها درساً نافعاً من الواجب أن نأخذه منها، ومن الواجب أن نستقصي أسباب رقيها وازدهارها بكل دقة وتمحيص، ونأخذ منها ما نراه ملائماً لحاجاتنا وظروفها، لأن هذه الأمور إرث مشترك بين الإنسانية»، لكن الفارق الذي لم يدركه الكاتب أن آرائه الأخيرة هذه قالها بعد استقلال الهند من الاستعمار الإنكليزي وانفصال باكستان عنها وصياغة الدستور لدولة الباكستان الإسلامية.

أما صموئيل هنتنغتون فإن أطروحته التي ضمنها في كتابه صراع الحضارات وإعادة وضع النظام الدولي وما سماه بالحدود الدموية للإسلام وخطر الإسلام على الحضارة الغربية وغيرها من المقولات، فإن هناك بوناً شاسعاً ومفاصل زمنية هائلة بينه وبين فكرة المودودي عن الغرب.هنتنغتون أطلق صيحة التحذير من مخاطر الإسلام على الحضارة الغربية والولايات المتحدة على قمة العرش العالمي بلا منافسة تذكر بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، لكن الدول الإسلامية تعاني ما تعانيه من التخلف والشرذمة والتفرق، ولذلك فإن مقولات مخاطر الإسلام على الغرب غير صحيحة بمقاييس الواقع وظروفه.

أما المودودي فعندما حذر من مخاطر الحضارة الغربية على الإسلام، كان المسلمون يعانون من الاستعمار وقهره واستبداده، فهل يعاني الغرب الآن من استبداد المسلمين وظلمهم وقهرهم؟!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المودودي ينتمي إلى الفضاء الأيديولوجي – كما قال كمال عبداللطيف – وهذا يعني أن المودودي محكوم عليه سلفاً وفق المعايير الغربية بالنظرة السطحية الضيقة وغير العادلة منطقاً. أما هنتنغتون فإنه ينتمي إلى الفضاء الليبرالي والانفتاح الديموقراطي والمقاييس البحثية الأكاديمية التي تلاقي التقدير في أوساط الجامعات والمؤسسات العلمية.بعض أفكار المودودي وكتاباته مطاردة وغير مرغوب فيها في بعض الأوساط السياسية الإسلامية، لكن أطروحات هنتنغتون تلاقي قبول السياسيين الغربيين وتقديرهم وبعض هذه الأطروحات نسجت – كما قيل – بإيعاز من بعض المؤسسات الرسمية.

والغريب أن كمال عبداللطيف أشار إلى كتابي سيد قطب «المستقبل لهذا الدين» و «معالم على الطريق» ووضعهما في السياق نفسه «نص بنص»، ومع اختلافنا مع بعض الأفكار المطروحة في هذا الكتاب، فإن هذا الكتاب يناقش قضية «الحاكمية» ولا صلة له لا بالصراع الحضاري ولا بالجفاء التاريخي مع الغرب، وقد رد الكثيرون من العلماء والباحثين من المسلمين أنفسهم ينقدون بعض ما قاله في هذه القضية. أما كتاب «المستقبل لهذا الدين» فإن الفكرة العامة لمضمونه تستقى من العنوان نفسه. ولا أدري لماذا يحق لفرانسيس فوكوياما أن يقول بـــ «نهاية التاريخ» عند الحضارة الغربية الرأسمالية، وقد قالها قبله فرانسيس فوكوياما وفريدريك هيغل وكارل ماركس، ولا يحق لغيرهم القول نفسه ولا تنطبق عليهم نفس المعايير والمقاييس... ولا يتهموا بتغذية الصراع والصدام؟

إن قضية الجفاء مع الغرب تتطلب معايير عادلة من دون استدعاء التاريخ، وأرشيف الذكريات الأليمة، ومن دون توظيف المقولات المتبادلة في أزمان مختلفة، إذا ما أردنا لصعوبات الحوار أن تتلاشى بالصيغة المقبولة والإيجابية من كل الأطراف المتحاورة شريطة أن يكون الغرب منصفاً للعرب والمسلمين ولا يتهموا بالإرهاب بصورة تعميمية ومستفزة في الوقت الذي يقولون أن أفعال إسرائيل بأنها دفاع عن النفس، وهي مغتصبة لأرض فلسطين والقامعة لأهلها بالقتل والتدمير والهدم، ولذلك فان الحوار الإيجابي المطلوب بين الإسلام والغرب لن يكون ناجحاً إلا بالمعايير الصحيحة والنظرة الندية المتكافئة بين الأطراف المتحاورة.

* كاتب عُماني

This file was downloaded from QuranicThought.com